# واقع تطبيق المقاربة النصية في الطور الثانوي

**مصطفى بن عطية**
**جامعة المسيلة**
**- الجزائر-**

**الملخص**

يهدف هذا البحث إلى شرح المرتكزات النظرية لمقاربة تعليمية تطبق حاليا في تدريس النص، وهي ما يعرف بالمقاربة النصية؛ هذه المقاربة التي تستمد أدواتها من ميدان تحليل الخطاب ولسانيات النص.

وقد تطرقت الدراسة إلى مجالين مهمّين من مجالات الحكم على النص، وهما ما يعرف بالاتساق والانسجام، وبينت عناصر كل منهما، ثم حاول البحث استثمار كل ذلك في مناقشة الكيفيات المطبّقة في كتب اللغة العربية لطلاب السنتين الأولى والثانية من المرحلة الثانوية في المدرسة الجزائرية، قصد إفادة الميدان التعليمي من الدراسات النظرية وهداية الممارسين إلى حسن تنفيذها، بغرض إحداث تعلمات نوعية ووظيفية. ولعل انفتاح منهاج اللغة العربية على المعرفة اللسانية يساهم في تطوير وإغناء الدرس الأدبي وتقريبه من المتعلم. وبناء على ما سبق جاء هذا البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية:

ما مفهوم المقاربة النصية؟ وهل تمّت محاورة النص الأدبي في المرحلة الثانوية بواسطتها؟ وما مدى وظيفية التعلمات المقترحة في كتب المتعلمين؟

**الكلمات المفاتيح**

المقاربة النصية - الاتساق - الانسجام - تعليمية النص.

## Résumé

Nous exposons dans cette étude les aspects théoriques d'une approche nouvelle dans le domaine de la didactique des langues. Cette approche dite « approche textuelle» s'intéresse aux mécanismes textuels. Elle englobe les données et les avancées de l'analyse du discours appliquée au texte littéraire. Notre champ d'application est le manuel scolaire de la langue arabe dans le secondaire. De ce fait, nous tentons de répondre à travers cette étude aux questions suivantes: Que signifie l'approche textuelle et quelles en sont ses limites ? Comment l'approche textuelle est-elle appliquée dans l'enseignement de la première et deuxième année de l'enseignement secondaire ?

**Mots clés**

Approche textuelle - cohésion - cohérence - didactique du texte.

## Abstract

This study is about a new approach in the field of language teaching and which is the textual approach. This later studies the structure of texts and how they function. The textual approach is a pedagogical choice through which Arabic language is taught and learned. In this study, we are going to answer the following questions : What is the textual approach ? What are its withdraws ? How is it applied in the Algerian secondary school?

**Keywords**

Textual approach - cohesion - coherence - didactics of texts.

**مقدمة**

لا يمكن لمدرس اللغة العربية اليوم أن يجهل ما أثبته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين ومناهج ناجعة في التحليل اللغوي، وذلك بضرورة الإلمام بما جدّ على صعيد البحث اللساني الذي طالعنا بمنهج لساني حديث، ينطلق من المنظور الوظيفي لتعليم اللغات وتعلّمها، فأخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في التبلور منذ منتصف الستينيات تقريبا، وقد عرف هذا الاتجاه بـــ (علم النص أو علم لغة النص أو لسانيات النص) وهو الاتجاه الذي يدرس بنية النصوص وكيفية اشتغالها.

وقد دأب حقل تعليمية اللغات على استغلال كل ما وصلت إليه العلوم التطبيقية والإنسانية من نتائج ودراسات، وكان من بينها تلك المتعلقة بكيفيات النظر والتحليل اللغوي في مستوى النص، وبنت من ذلك منظومة منهجية تعليمية خاصة، تدعى المقاربة النصية. ومن خلال تصفح منهاج اللغة العربية لطلاب المرحلة الثانوية بالجزائر نجد أن المقاربة النصية اختيار بيداغوجي تسير وفقه عملية تعلّم اللغة العربية وتعليمها، وتحلّل النصوص على خلفية معرفية قائمة أولا وأخيرا على الأدوات الإجرائية لتحليل النص، وتعليم اللغة - مقاييسها وفنياتها - من خلاله. وهنا تطرح إشكالية بالغة الأهمية في تصوري ألخصها في الأسئلة الآتية:

ماذا يقصد بمفهوم المقاربة النصية؟ وكيف طبقت إجراءات تحليل النص في التعليم الثانوي من خلال محتوى الكتاب المدرسي للسنتين الأولى والثانية ثانوي؟

**1. المقاربة النصية**

تعني المقاربة "كيفية دراسة مشكل أو معالجة أو بلوغ غاية... وترتكز كل مقاربة على استراتيجية للعمل"[1] ومعنى كلمة مقاربة" التي يقابلها المصطلح الفرنسي (Approche) هو الاقتراب من الحقيقة المطلقة، وليس الوصول إليها، كما أنّها من جهة أخرى خِطّة عمل أو استراتيجية لتحقيق هدف ما"[2]، أما وصفها بالنصية فلأنها مجموع طرائق التعامل مع النص وتحليله بيداغوجيا لأجل أغراض تعليمية، وللمقاربة النصية ثلاث نواح هي:

- **الناحية السوسيولسانية:** حيث تعالج شروط إنتاج النص ووضعه في إطاره الاجتماعي، وأدوار المرسل والمتلقي وأوضاعهما، وتنظيم النص حسب مرجعيته.
- **الناحية اللسانية الصرفة:** وذلك بتحديد وظائف اللغة والعلامات الشكلية للتلفظ، والمقتضيات التقديرية والمنطقية.

---

[1] عبد اللطيف الفاربي، عبد العزيز الغرضاف، محمد آيت موحي، عبد الكريم غريب، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك1، سلسلة علوم التربية 9-10، دار الخطابي للطبع والنشر، 1994، ص 21.

[2] عبد الله صوالح ومحمد الضب، لماذا بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات؟ الكتاب السنوي 2003، الجزائر: المركز الوطني للوثائق التربوية، 2003، ص 10،11.

- **الناحية المنطقية التركيبية:** وهي مستوى التحليل النصي من خلال التقاط نظام النص وشكله والتقاط العلاقات الزمنية والتقاط إجراءات انسجام النص والتقاط أشكال الجمل (نفي، استفهام، اسمية، فعلية...)[3] وتأتي كل هذه الإجراءات في خدمة النص وتحقيقا لفهم مضامينه.

والنص كيان مهيكل يتميز ببنية خاصة تقوم على ما بداخله من علاقات بين مكوناته، ومع أنه يتكوّن من الوحدات الجملية فهو يختلف عنها نوعيا، إذ إنّ النص وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، وهو يتحقق فعلا بوجود خاصية يطلق عليها "النصية" وهذا ما يميزه عمّا ليس نصّا[4]*. والنص -من منظور المقاربة النصية - هو بنية مهيكلة تقوم على مقوّمين أساسيين، يضطلع أحدهما برصد العلاقات التي تنتظم بها البنية الشكلية (الاتساق)، والآخر برصد العلاقات الخفية أو البنية التحتية العميقة (وهو ما يعرف بالانسجام)، ويحتل هذان المقوّمان موقعا مركزيا في الدراسات النصية حتى إننا لا نكاد نجد مؤلفا ينتمي إلى هذا المجال خاليا من هذين المفهومين أو من أحدهما.

ومما سبق ذكره نقول إنّ الاتساق والانسجام يشكلان موضوع المقاربة النصية التي تدرس الكيفية التي بمقتضاها تشكّل سلسلةٌ من الجمل وحدةً ونصا.

### 1.1. الاتساق

يقصد بالاتساق قوة التماسك بين الأجزاء المشكّلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب/نص أو نص برمّته، ويذهب الدارسون إلى أن السامع أو القارئ حين يحدد بوعي أو من دون وعي وضعية عينة لغوية يستدعي بنيتين "داخلية وخارجية" تتمثل البنية الداخلية في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما، وتكمن الخارجية في مراعاة المقام[5]، ويحصل الربط بين جمل النص بمجموعة من الوسائل المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها، وممن تعرّض لأدوات التماسك النصي هاليداي ورقية حسن في كتابهما (Cohesion in English) ذكرا فيه مظاهرَ نصية نلاحظ أنّ أغلبها مسخّر في بناء نصوص اللغة العربية، وأبرزها:

أ- **الإحالة:** وتعد من أهم الوسائل التي تحقق للنص التحامه وتماسكه ويرى هاليداي ورقية حسن أن العناصر المحيلة لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لابد من العودة إلى ما

---

[3] ينظر، عبد اللطيف الفاربي وآخرون، مرجع سابق، ص 26.

[4] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط 2؛ المركز الثقافي العربي، 2006، ص 13.

* نؤكد على أن هذين العنصرين هما أهم العناصر وليسا كلها في تحديد نصية النص فـ دي بوغراند مثلا يشترط سبعة عناصر يوصف بواسطتها الفعل اللغوي بأنه نص وهي: الاتساق والانسجام والقصد والقبول أوالمقبولية المتعلقة بموقف المتلقي من قبول النص والإخبارية أو الإعلام (توقع المعلومات الواردة في النص) ومناسبة النص للموقف (المقامية) والتناص.

[5] محمد خطابي، مرجع سابق، ص 14.

تشير إليه من أجل تأويلها وتنقسم إلى:

- **إحالة مقامية:** باعتبار أن اللغة تحيل دائما إلى أشياء وموجودات خارج النص.
- **إحالة نصية:** هي إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ أو النص، وتؤديها ألفاظ من قبيل "قصة، خبر، رأي ..."[6]، فإذا كانت الإحالة نصية (داخلية) يمكن أن تحيل إلى السابق أو اللاحق، أي إنّ كل العناصر تملك إمكانية الإحالة، والاستعمال وحده هو الذي يحدّد نوع إحالتها.

وتكون الإحالة إما إحالة قبلية: وهي إحالة إلى عنصر لغوي سبق ذكره في النص ومثاله الضمير (هو) في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ...﴾ (سورة البقرة، الآية 255) وهي إحالة قبلية إلى اسم الجلالة (الله) في مطلع الآية، أو بعدية: وهي التي يأتي فيها المحال إليه بعدها ومن أمثلتها استعمال العبارات: (وهو ما سنذكره، فيما يأتي، على النحو الوارد فيما يأتي، كما تبيّن لاحقا ...)، فالإحالة تمثل وسيلة من وسائل التماسك النصي، ومن ثم تتمثل أهميتها في إنشاء التماسك الدلالي للنص ... وهذا صادر أساسا من منطلق أنّ الإحالة شيء رابط دلالي ... لا يطابقه أي رابط بنوي آخر[7].

**ب- الاستبدال:** ويتمثل من حيث هو- وسيلة من وسائل التماسك النصي - في تعويض عنصر لغوي بعنصر آخر، ويتم على المستوى النحوي والمعجمي داخل النص، ويختلف عن الإحالة في كونها تقع على المستوى الدلالي، كما أنها أحيانا تحيل إلى أشياء خارج النص، كما يتميّز عنها أيضا في أنّ معظم حالاته قبلية، وذاك أن العلاقة بين الكلمات فيه تكون بين عنصر متأخّر وعنصر متقدّم.

وأمثلة الاستبدال المعجمي كلمة "أخر" في الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (سورة آل عمران، الآية 7). فكلمة "أُخَر" عوّضت كلمة "آيات" وقامت مقامها، مما زاد في تعلق الجملة اللاحقة بالسابقة.

وأما الاستبدال الذي يتمّ على المستوى النحوي، فهو يتمثل في لجوء المتكلم أو الكاتب إلى استعمال تركيب نحويّ بدل تركيب آخر، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (سورة البقرة، الآية 60) فقد حصل الاستبدال هنا بتعويض جملة جواب الطلب (وهي من المفروض: فضرب الحجر بعصاه ...) بجملة أخرى ( فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) وترتبط هذه الجملة بالجملة المحذوفة بعلاقة سببية أشير إليها في السابق.

---

[6] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2000، ص 70.

[7] الأزهر زناد، نسيج النص، ط 1؛ بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991، ص 121، نقلا عن: صبحي إبراهيم، الفقي، علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق.

ويبرز دور الاستبدال في اتساق النص من خلال العلاقة بين العنصرين: المستبدل والمستبدل منه، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق عليه[8]، وهذا ما يحقق نوعا من التلاحم والاستمرار في محيط التقابل.

**ج- الحذف:** الحذف ظاهرة نصية لها دورها أيضا في اتساق النص والتحام عناصره، ويوجد العنصر المحذوف في معظم الأمثلة مضمنا في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبْليّة. ويقع الحذف في الأسماء المشتركة ومثاله: أيّ الكتب ستقرأ؟ هذا هو الأنفع، وذلك أن الكتاب حذف في الجواب، وهذا نوع من الحذف يدعى بالحذف الاسمي، وقد يقع أيضا داخل المركّب الفعلي مثل: فيما كنت تفكر؟ المشكلة التي أرّقتني، والتقدير: أفكر في المشكلة، ويسمى حينها بالحذف الفعلي، وقد يقع نوع آخر من الحذف داخل الجملة: مثل: كم ثمنه؟ عشرون دينارا، والتقدير ثمنه عشرون دينارا، أو بحذف جملة كاملة فيؤدي حذفها إلى ربط أجزاء من الخبر وجعل الجمل المتعددة كالجملة الواحدة، لا نستطيع التفريق بين أجزائها، أو أن نميز إحداها عن الأخرى، ومنها حذف جملة الفعل، والمصرّح به وهو الجواب يتضمن الإيحاء بالمحذوف، فبدلا من أن يقول القائل: "أكرمني عبد الله، وأكرمت عبد الله" وفي ذلك جملتان، يقول: أكرَمني وأكرمتُ عبدَ الله، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 149) وتأويلها ولو شاء الله أن يهديكم لهداكم.

**د- الوصل:** يختلف الوصل اختلافا تاما عن بقية وسائل التماسك النصي التي سبق ذكرها، من حيث إنه يصل وصلا مباشرا بين جملتين أو مقطعين في النص، إنه الطريقة التي يتلاحم بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم، وتأتي أهمية الوصل من كون النص مجموعة من الجمل أو المتواليات المتعاقبة، وإنه لا بدّ لكي ندرك بنيته المتماسكة من توافره على أدوات رابطة تفرض كلّ نوع منها طبيعة العلاقة بين الجمل، وكثيرا ما يطلق على هذه الأدوات تسمية "الأدوات المنطقية" وذلك لدورها في تحديد أنواع العلاقات بين الجمل من إضافة وتوضيح وتعداد وشرح وربط وسببية وتعاقب زمني ومن ثم إسهامها في بناء النص بناء منطقيا، وإذا خلا النص من هذه الأدوات، سواء كانت شكلية، أم دلالية، فإنه يصبح جملا متراصّة لا يربط بينها رابط، ويصبح النص - إذا عددناه حينئذ نصا - جسدا بلا روح، ولأهمية التماسك النصي فقد نال اهتماما كبيرا من علماء النص، بداية بتوضيح مفهومه ومرورا ببيان أدواته أو وسائله وعوامله.

**هـ- التكرار:** ويجسد شكلا من أشكال الترابط المعجمي على مستوى النص، ويتمثل في تكرار لفظ أو مرادف له في الجملة، وقد ورد كثيرا في نصوص العربية وفي مقدمتها النص القرآني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ

[8] محمد خطابي، مرجع سابق، ص 20.

لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ، إِنَّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 116)، حيث ذكر الكذب ثلاث مرات ثم أعاد ذكر جملة (لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ) مرّتين.

وهناك تماسك يحصل بتكرار مرادف للكلمة، وتمثل له بعبارة: كان لا يدخل في دعوى ولا يشترك في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عدلا، وشهودا عدولا، فكلمات "يدخل، يشترك، يدلي" ذات معان متقاربة.

و- **المصاحبة اللغوية:** وهي علاقات تربط بين الوحدات المعجمية المنفردة، وهي ارتباط اعتاد أبناء اللغة وقوعه في الكلام بحيث يمكن توقع ورود كلمة محدّدة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، كما هو الحال في علاقة التضاد المعروفة عند البلاغيين بالطباق في المفردات والمقابلة في العبارات كما في قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة آل عمران، الآية 26)، وعلاقة التدرج التسلسلي بين أيام الأسبوع أو أسماء الشهور مثلا. وعلاقة الجزء بالكل: كعدد من العناصر تنتمي إلى مجموعة واحدة ومثالها: السقف والجدران وعلاقتها بالحجرة. وعلاقة الصنف العام: مثل الطواف والسعي والكعبة وعلاقتها بالحج. وأخيرا علاقة التلازم الذّكري: إذ كلما ذكر عنصر استدعى بالضرورة عنصرا معيّنا كالسفر الذي يستدعي ذكر وسيلته، والمرض الذي يستوجب ذكر معالجه وهكذا. والسؤال الذي يفرض نفسه بناء على ما سبق: هل تعد أدوات التماسك النصي كافية لإقامة تحليل موضوعي لبنية النص؟

تقتضي الإجابة عن هذا السؤال عرضا موجزا للمقوّم الثاني من مقومات النص؛ الذي يتجاوز المستوى السطحي للنص وصولا إلى فضاء أرحب يفتح المجال للدارس (المتلقي) لبناء علاقات بين النص والعالم الخارجي.

**2.1. الانسجام:** هو مجموع الآليات أو العمليات الظاهرة والخفية التي تجعل قارئ خطاب ما قادرا على فهمه وتأويله، حيث يعتقد فان دايك أن الظواهر النصية الحرفية لا تكفي وحدها لتحديد النص الأدبي ودراسته على أكمل وجه[9]، بل يتطلب الأمر عوامل غير حاضرة في النص؛ أي ليست من جنس الوحدات الملفوظة غير أنها تقوم بأدوار مهمة وتساهم في بناء معاني النص ومقاصده، ويتجلى الانسجام في جملة من المظاهر منها:

- الترابط الموضوعي: حيث حضور الوحدة الموضوعية التي تقتضي تجنب التناقض، والانتقال غير المبرر من فكرة إلى أخرى، لا تربط بينهما أية صلة منطقية، لذلك فإن من العوامل التي تحقق للنص انسجامه وترابطه، وحدته المعنوية، إذ إن قوة الربط تكمن حقيقة في العلاقات المعنوية؛ فالنص وحدة دلالية والجمل ليست سوى وسيلة لتحقيق ذلك.

---

[9] رياض مسيس، "لسانيات النص"، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص بالملتقى الوطني حول دور اللسانيات في العلوم الإنسانية، 5 و6 فيفري 2002، ص 167.

- إنّ سيرورة النص، وتقدّمه في عرض المعلومات يخضعان إلى ظاهرتين مهمّتين هما: التكرار والتدرّج، ذلك أن صاحب النص يذكر أحيانا، في مرحلة ما من مراحل النص أشياء سبق ذكرها محاولا بذلك ربط السابق باللاحق، وممهدا للانتقال إلى معلومات جديدة، وعليه فإنّ فهم دينامية النص يقتضي دراسة الطريقة التي يتحقق بها التوازن الذي يتمّ من خلاله تحوّل المعلومات الجديدة إلى معلومات مكتسبة، تمثّل بدورها المنطلق نحو عناصر أخرى جديدة، مثلا: تحديد الفترة التاريخية لظهور كتاب ما ييسر فهمه بشكل أفضل وذلك ما يفرضه السياق وخصائصه، فلا نحاول أن ننقد كاتبا أو شاعرا قديما معتمدين على رؤية إنسان معاصر، فلكل عصر خصائصه، وهذا ما يجلّيه السياق بتوضيح ما يكون ملتبسا في هذا النص أو ذاك، وهو الذي يحدّد أغراضه ومقاصده بدقة ويحصر مجالات تأويلاته الممكنة.

## 2. تطبيق مبادئ المقاربة النصية في التعليم الثانوي

### 1.2. في تحليل النصوص

لقد استقر الأمر على أن النص الأدبي في مرحلة التعليم الثانوي يدرس دراسة كلية اعتمادا على كونه ظاهرة لغوية متعددة الأبعاد، معقدة في تشكيلها ومضامينها، الأمر الذي يجعل معالجة النص تستمد من آفاق مختلفة منها المقاربة النصية أي النظر إلى النص على أنه وحدات لغوية ذات وظيفة تواصلية واضحة تحكمها جملة من المبادئ، ومنها الاتساق والانسجام، ولتحقيق هذا المبدأ في تناول النص، تظهر حاجة المتعلم إلى التحكم في دعائم فهم النص، من حيث بناؤه الفكري والفني ونقصد بذلك قواعد النحو، قواعد الصرف، البلاغة، والعروض، وتنشط هذه الدعائم انطلاقا مما يتوافر عليه النص من مظاهر لغوية وفنية، وتسمى من منظور المقاربة النصية بروافد النص.

ونتوقع بعد الدراسة النظرية سالفة الذكر أن نجد لها تطبيقات في كتاب المتعلم للطور الثانوي بحكم أن المقاربة المعتمدة هي المقاربة النصية، وإنه من باب الإنصاف الإقرار بأن مصمّمي الكتب المدرسية لهذه المرحلة حاولوا جهدهم تحقيق هذه الأفكار النظرية فخصصوا لكل نص من نصوص الكتاب فقرات قارّة تحاول دراسته من نواح متعددة للغوص في معانيه وفهم الأفكار التي ينقلها، فنجد الفقرة الأولى: (أكتشف معطيات النص) تركّز على المعلومات التي يحملها النص، والتي تتم مناقشتها في الفقرة الموالية وإبداء الرأي حولها، وفي ثالث محطة يتم تحديد بناء النص وفق نمط معين من الأنماط الأربعة (النمط الوصفي والنمط الحجاجي والنمط التفسيري والنمط السردي) ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الأكثر أهمية حسب تصوّري ألا وهي مرحلة تفحّص الاتساق والانسجام في تركيب فقرات النص، وفيها يتعرّض المتعلّم للعناصر سالفة الذكر التي تحقق نصّية الأثر الأدبي من اتساق وانسجام. إلا أنه من الواجب إبداء جملة من الملاحظات حول المطالب المقترحة في هذا الباب، فهي تتعلق في معظمها بأدوات اتساق النص اللغوية الشكلية ونذكر بالخصوص الروابط وعناصر الإحالة والحذف، كما هو الحال مثلا بالنسبة للمطلب الآتي: عُد إلى النص وعيّن الروابط التي وظّفها الشاعر في بناء نصه، وهي مطالب وإن تباينت صيغها فهي تتكرّر نفسها في مواطن كثيرة من الكتاب المدرسي، وتكتفي

بالتركيز على بعض أدوات الاتساق المذكورة ولا تتعداها إلى غيرها[10].

إنّ جوهر المقاربة النصية يقوم على دراسة بنية النص ونظامه، وتوجيه العناية إلى التعامل معه على أنه خطاب، متناسق الأجزاء منسجم العناصر؛ أي توجيه العناية صوب ظاهرتي الاتساق والانسجام، أمّا ملاحظة الممارسة التربوية فتؤكد على أنّ الأستاذ يكتفي أثناء تتبّعه لعناصر الاتساق والانسجام بأسئلة الكتاب المدرسي حرفيا، مثل ما جاء في تحليل نص الحكمة والفلسفة في الشعر ودراسته لأبي الطيب المتنبي:

- هل ترى علاقة بين هذه الحكم؟
- في البيت [9-8] أسلوب شرط حدد عناصره والعلاقة بين الشرط وجوابه؟
- على من يعود ضمير الهاء في ( شأنه، منه، لياليه، أعانه) ؟[11]

والملاحظ أن هذه الأسئلة وغيرها في غاية السطحية، بل إنها تشتغل على هامش النص ولا تعمل حقيقة على ربط فقراته والوصول بالمتعلم إلى أحكام تخصّ الشاعر، ككيان مبدع له نفسيته المستقلة وفكره الخاص، ومع ذلك فإنّ المتعلم الذي يجهل تماما معنى الاتساق والانسجام يقوم باستخراج هذه الأدوات والإجابة عن الأسئلة المطروحة بطريقة آلية، والحال نفسها مع غالبية النصوص المدرجة في برنامج المرحلة الثانوية.

ومن المؤكّد أن المعارف النظرية الخاصة بمفاهيم الاتساق والانسجام، تثير نقاشات طويلة بين الباحثين المتخصصين، أما المتعلم في المرحلة الثانوية فإنه غير مزوّد بها على الإطلاق، لكن المطلع على المطلب الآتي: (حدّد بعض مظاهر انسجام معاني النص) الذي ورد في معرض تحليل نص: (من الغزل العفيف) لـــ (جميل بن معمر العذري) يفاجأ بأن واضع السؤال لم يضع ضمن مجال اهتمامه هذه الحقيقة، وكان من الواجب مراعاة ذلك بتفكيك المطلب إلى مطالب إجرائية تحدّد بدقة المطلوب من المتعلّمين رَصْدُه من مظاهر الانسجام والتعليق عليها.

ومن ناحية أخرى يمكن لمتصفح أسئلة كتاب التلميذ في المرحلة الثانوية، أن يلاحظ إهمال واضعي الأسئلة في أنشطة اللغة المختلفة بعضَ الجوانب التي تخصّ مبادئ المقاربة النصية، فهم لم يعيروا اهتماما للنص بوصفه ظاهرة لغوية اجتماعية إلا حينما يتعلّق الأمر بالنصوص الإبداعية وهي الآثار الشعرية على وجه التحديد فنجد محاور مناقشة النص لا تتعرّض لظواهر الاتساق والانسجام إذا تعلق الأمر بالنصوص التواصلية (النثر الفني، النقدي أو العلميّ). فنجد نصوصا فنية كنص (المواجهة)[12] لـــ جميلة زنير مثلا لا تثار حول فقراته مسائل تتعلق بالاتساق والانسجام، وفي المقابل نجد الأسئلة الموضوعة تسخّر لدراسة مظاهر أخرى لا تتحقق

---

[10] ينظر: المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى من التعليم الثانوي جذع مشترك آداب، 2006، ص 18، 101، 130، 168، 153، وغيرها.

[11] الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الثانية من التعليم الثانوي لشعبتي الآداب والفلسفة والآداب واللغات الأجنبية، 2006، ص 104.

[12] المرجع السابق، ص 135.

بواسطتها المقاربة النصية ولا تساعد المتعلم على فهم النص، كما هو الحال بالنسبة لنص (انتظار) لأبي العيد دودو حيث نجد أسئلة تقنية تخدم جوانب نقدية صرفة مثل: ما أنواع الحبكات الفنية التي تعرفها؟ أو ما الفرق بين الرواية والأقصوصة من حيث الحبكة؟[13] أو أسئلة معرفية تتناول مسائل نحوية كما هو الحال بالنسبة للمطلب: (استخرج كلمة ممنوعة من الصرف) أو (أعرب: يا عدُوَّ الله)[14] وغيرها من الأمثلة في كتب النصوص.

**2.2. في دراسة الظاهرة النحوية**

يكتسي نشاط القواعد بشقيه (النحو والصرف) أهمية بالغة الأثر في تثبيت المكتسبات العلمية للمتعلم، وهي الدّعامة الأولى لكل المعارف التي يتلقاها المتعلّمون في مجال الأدب وفنونه واللغة وأساليبها، وعليه فقد كان من الواجب تجاوز كل ما يكتنف هذه القواعد من صعوبات تعليمية نبّه النحاة إلى وجودها، وذلك بتغيير طرائق تدريسها وأساليب عرضها، باعتماد المقاربة النصية أسلوباً للتعامل معها بهدف تيسير مقولاتها، وتقريب ما استغلق على المتعلّم من مفاهيمها، ذلك لأن تدريسها لم يعد غاية مقصودة لذاتها، بل أصبح وسيلة لتقويم اللسان من اللحن وصون الأساليب من الخطأ، فيصبح تعامله باللغة سليما فهما وتعبيرا، قراءة وتحريرا.

إنّ أكبر هدف يسعى المنهاج إلى تحقيقه لدى متعلّم المرحلة الثانوية هو إكسابه الدّراية اللغوية التي لا تتحقق إلا بالممارسة، ولتحقيق هذا المسعى اعتمد المنهاج جملة من الأهداف نذكر منها:

- تدريب المتعلمين على توظيف القواعد توظيفا قائما على إدراك المعنى وفهم السياق ومتطلبات المقام.
- تنمية الذوق الفني لدى المتعلم من خلال تعامله مع النصوص المتنوعة وإبراز ما فيها من أساليب راقية، وصور جميلة (السياق الطبيعي للغة).

وتجدر الإشارة إلى أنّ المقاربة بواسطة النص تشترط أن تُنشّط الحصة عن طريق الرجوع إلى النص الأدبي أو التواصلي للوحدة التعليمية، وتسليط الضوء على الظاهرة اللغوية المقصودة بالدراسة، ودعوة المتعلمين إلى استخراج ما يماثلها في النص، ثم تدوّن على السبورة وتعالج وفق طريقة تراعي فكرة التواصل مع النص باستمرار (ذهابا وإيابا)، ويعد نشاط القواعد والصرف والبلاغة والعروض روافد لفهم النص؛ إذ يتمّ تناولها انطلاقا مما يتوافر عليه النص، غير أننا نجد مؤلفي الكتاب المدرسي قد خالفوا هذه القاعدة، فالنشاطات المسمّاة روافد النص (نشاط القواعد بشكل خاص) تأتي في أحيان كثيرة مستقلة عن النص.

وإذا كان النص الأدبي يشكل محور الفعل التربوي في تدريس نشاطات اللغة العربية فهذا يعني أن نقطة الانطلاق هي النص ونقطة الوصول هي النص أيضا، لذلك كان تدريس باقي فروع اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض وتعبير ينطلق من النص، إذ إن المنهاج الجديد

---

[13] المشوق في الأدب والنصوص، مرجع سابق، ص 162.

[14] الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، مرجع سابق، ص 59.

لم يخصص لها أي حصة تعليمية مستقلة (زمنيا) واعتبر تدريسها وظيفيا من خلال النصوص نفسها، لأن المقاربة بالنص تلغي كل الحواجز التي كانت تقام بين تدريس النصوص وبين نشاطات اللغة الأخرى، لكن الملاحظ أنّ الأمثلة والشواهد في نشاط قواعد اللغة التي اعتمدت مثلا في درس "أفعال المدح والذم"[15] لم تكن مستقاة من النص، والملاحظة نفسها سجلناها مع كثير من الدروس مثل: درس الأحرف المشبهة بـــ ليس[16]، والممنوع من الصرف، وغيرها من الدروس ... فالقائمة تبقى طويلة؛ حيث يضيق المجال بنا للإحاطة بكل مواضيع الكتاب؛ حيث نلاحظ على بعض الدروس انطلاقها من شواهد لا وجود لها في نص الوحدة التعليمية، كما هو حال موضوع (المصدر الدال على المرة والهيئة) الذي جيء فيه بالأبيات الآتية:

(رَأيتُك في سَبَحاتِ الهلالِ يــضِيءُ على غِرّةِ الأَشْــهُرِ) (وإشراقةِ الشَّمْسِ في خِدْرِها وفي صَفْحَةِ القَمَرِ الأَزْهَــرِ) (وفي وَمضةِ البَرْقِ وَسْطَ السَّحابِ وفي وقْدَةِ الشَّفَقِ الأَحْمَرِ)[17]

والحقيقة أن النص الذي بُرمج في هذه الوحدة "من قضايا الشعر في عهد الدولة الرستمية"[18] ليس فيه من أثر لظاهرة صيغ المرة أو أسماء الهيئة، وهذا هو سبب لجوء واضع الكتاب إلى شاهد شعري ليس من نص الوحدة، لكن النص المذكور أعلاه فيه من الظواهر الصرفية ما يُغْني عن هذا الموضوع من جهة، وما يخدم المعنى ويعضد أحكاما فنية تتعلّق بالنص مباشرة، كـــ (صيغ التعجب القياسية)* مثلا التي يمكن أن يستند فيها المدرّس إلى البيت التاسع من هذا النص:

حتىّ تزورَ رجالاً في رِحَالِهِمُ  فَضْلا فأكرِمْ بأهْلِ العلم زُوّارا

ليبين في مستهل الدرس معنى البيت وأثره في المعنى العام للنص، ثم يدرسه كظاهرة نحوية يبين أحكامها وعناصر تركيبها، ومن ثم يكون الدرس النحوي خادما للنص ومنطلِقا منه ليعود إليه، فيحسّ المتعلمون بذلك الارتباط البنوي بين مختلف نشاطات اللغة والأدب.

### 3.2. في دراسة الظاهرة البلاغية

ما قلناه عن الانفصال الملاحظ بين النص ودرس النحو والصرف، يقال أيضا عن درس البلاغة ومواضيع دروس العروض، التي لم تسلم هي أيضا من التجزيء؛ حيث نجد مؤلفي الكتب المدرسية يأتون بشواهد في مواضيع دروس البلاغة التي يبدو لي أنهم وضعوها مسبقا، ثم

---

[15] المرجع السابق، ص 52.

[16] المرجع نفسه، ص 114.

[17] الجديد في الأدب والنصوص، السنة الثانية، رياضيات، علوم التجريبية، تسيير واقتصاد، تقني رياضي، ص 97.

[18] الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، مرجع سابق، ص 95.

* درس القواعد (صيغ التعجب) مبرمج في السنة نفسها بعد نص: "الدعوة إلى الجديد والسخرية من القديم" لأبي نواس الحسن بن هانئ، والغريب أنه (صيغ التعجب) قد انطلق هو أيضا من نص آخر غير نص الوحدة، لخلو نص أبي نواس من ظاهرة التعجب، فلو أن هذا الدرس أخّر إلى نص: "من قضايا الشعر في عهد الدولة الرستمية" للإمام أفلح بن عبد الوهاب لكان واضع الكتاب قد احترم مبادئ المقاربة النصية أكثر. يرجى الاطلاع على: الجديد في الأدب والنصوص، مرجع سابق، ص ص 23-25.

حينما لم يجدوا لها أمثلة في نصوص الوحدات التعليمية لجأوا إلى الطريقة القديمة، فأتوا بشواهد مختارة للانطلاق منها في مناقشة الظاهرة المقصود تلقينها للمتعلمين، وكأنه لا وجود لمقاربة بيداغوجية تسمى المقاربة النصية.

أما درس البلاغة فالأصل فيه أن يُنشَّط انطلاقا من النص الأدبي، بدراسة الظاهرة البلاغية خدمة لفهم النص، وكشفا لسبب اختيارها، ومن ثمّ تذوّق الأساليب العربية الرّاقية بغرض: توظيفها توظيفا مناسبا في مقامات مختلفة، فالمقاربة بالكفاءات بالنسبة إلى درس البلاغة، تصب في مجرى التطبيق والتفعيل، أي أنْ يُعبّر المتعلم بكلام واضح يفهمه غيره ويتأثر به. ولبلوغ هذه الغاية لا بد على المدرس بواسطة محتوى الكتاب وتطبيقا للمقاربة النصية أن يعمل على: تنمية الذوق الأدبي للطلاب وإذكاء ذوقهم الفني وإقدارهم على فهم الأدب فهما دقيقا، ومعرفة خصائصه ومزاياه البلاغية وبيان جماليته، كما يعمل محتوى الكتاب على إدراك ما تدلّ عليه النصوص الأدبية من ضروب فنية، وتبصير المتعلّم بمختلف أنواع الأساليب، وكيف تؤَدَّى الفكرة الواحدة بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عن طريق الحقيقة والمجاز.

- تحصيل المتعة والإعجاب لما يقرؤون من الآثار الأدبية، وتدريبهم على إنشاء الكلام الجيّد بمحاكاتهم لها[19].

والبلاغة مرتبطة بالأدب من خلال نصوصه وهي على هذا الأساس ليست قضايا وأحكاما وتعاريف وقواعد بل هي تشبّع بالأسس والأصول التي تقوم عليها بلاغة الكلام وجودة الأسلوب، من حيث الوضوح والقوة وجودة التصوير. وقد عمل المنهاج عن طريق محتوى الكتاب على تحقيق هذه الكفاءات فركّز على ظواهر بلاغية غاية في الأهمية كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والخبر والإنشاء والطباق والمقابلة والجناس، وهي مواضيع ذات أهمية قصوى في فهم المعاني وربط العلاقة بين المرسل والمتلقي بواسطة النص.

وما يلاحظ على هذا النشاط في السنة الأولى الثانوية - الشعبة العلمية خصوصا - أنّ شواهده مأخوذة من النصوص المبرمجة في الوحدات وهو أمر محمود بيداغوجيا حسب المقاربة النصية وخاصية الإدماج. فمن بين عشرة مواضيع في البلاغة نجد ثمانية منها ترجع إلى النص في استخراج الظاهرة لدراستها بواسطة الفقرة التعلّميّة: (عُدْ إلى النص)، عدا درسين منها فقط أتى فيهما مؤلفو الكتاب بشواهد من خارج النص، وهما درسا الجملة الإنشائية والجناس[20].

**وختاما** نقول إن المقاربة النصية من حيث أساساتها النظرية وطموحات واضعيها، تُعدّ إضافة نوعية للمنظومة التربوية عموما ولتعليمية اللغة العربية بشكل خاص، غير أنّ تطبيقاتها المدرسيّة تبقى رهينة العوائق المتعلقة بتعريف المدرسين والمشرفين التربويين على حد سواء بأهم مبادئها، لتحسين أدائهم الميداني والوصول إلى الكفاءات اللغوية المنشودة.

---

[19] محمد الصالح سمك، فن التدريس للتربية النحوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العلمية، د. ط؛ دار الفكر العربي، 1991، ص 551.

[20] ينظر: المشوق في الأدب والنصوص، مرجع سابق، ص‌ص 95-180.

## المصادر والمراجع

**الفاربي عبد اللطيف، الغرضاف عبد العزيز، آيت موحي محمد، غريب عبد الكريم،** معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك 1، سلسلة علوم التربية 9-10، دار الخطابي للطبع والنشر، 1994.

**الفقي صبحي إبراهيم،** علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الطبعة 1؛ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

**الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،** الجديد في الأدب والنصوص، السنة الثانية، رياضيات، علوم التجريبية، تسيير واقتصاد، تقني رياضي.

ـــ ، الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الثانية من التعليم الثانوي لشعبتي الآداب والفلسفة والآداب واللغات الأجنبية، 2006.

ـــ ، المشوق في الآداب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى من التعليم الثانوي جذع مشترك آداب، 2006.

**زناد، الأزهر،** نسيج النص، الطبعة 1؛ بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991.

**مسيس، رياض،** لسانيات النص، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب العلوم الإنسانية عدد خاص بالملتقى الوطني حول دور اللسانيات في العلوم الإنسانية، 5 و6 فيفري 2002.

**سمك، محمد الصالح،** فن التدريس للتربية النحوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العلمية، دون طبعة؛ دار الفكر العربي، 1991.

**صوالح، عبد الله، الضب، محمد،** لماذا بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات ؟ الكتاب السنوي، الجزائر: المركز الوطني للوثائق التربوية، 2003.

**خطابي، محمد،** لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة 2؛ المركز الثقافي العربي، 2006.